(٨)

بداية الإصلاح تزكية الأنفس[١]

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

أهمية إصلاح النفوس بالتزكية :

في آخر جمعة خطبتها من فوق هذا المنبر ؛ تحدثنا عن ضرورة الإصلاح ، إصلاح المجتمع وإصلاح الأمة ، وقلنا : إن الإصلاح . . إصلاح المجتمعات ، وإصلاح الأمم ، لا يتم إلا بصلاح الأفراد . الأفراد للمجتمعات بمثابة اللبنات للبنيان ، لا يمكن أن يقوم بنيان من لبنات فاسدة ؛ لبنات غير صالحة ، لهذا ينبغي أن نبدأ بصلاح الأفراد . وصلاح الأفراد يبدأ بصلاح الأنفس ، إصلاح الإنسان من جوّانيته ، من داخله لا من خارجه ، من باطنه لا من ظاهره ، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ حينما أراد أن ينشئ أمة مؤمنة . ماذا فعل بها؟

إنه بدأ بإصلاح أنفسها ، إصلاح عقولها ، إصلاح وجداناتها ، إصلاح نواياها وبواعثها وأهدافها ، هكذا ظل ﷺ يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

معنى التزكية :

ما معنى التزكية؟ . . التزكية تشمل عنصرين : الطهارة والنماء ، يقال زكا الشيء إذا طهر ، وزكا الشيء إذا نما ، ولذلك نرى أن الزكاة ـ الركن الثالث في

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة في يوم الجمعة ٢٢ من ذي الحجة ١٤٢٤ هـ ، الموافق : ١٣ فبراير ٢٠٠٤م .

OBEIKAN.COM

الإسلام ـ هي طهارة ونماء ، طهارة لنفس المزكي ولماله ونماء لنفسه ولماله ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (التوبة:١٠٣) ، لا بد أن نطهر أنفسنا أولاً ، ثم ننميها ثانياً .

أولا : تطهير الأنفس من الشرك :

لا بد من تطهير الأنفس من رذائل الشرك ، ورذائل النفاق ، ثم ننمي هذه الأنفس بفضائل التوحيد وبأخلاق المؤمنين ، هذا ما يطلق عليه علماء السلوك « التخلية والتحلية » ، أي العمل على التخلي عن الرذائل ، والتحلي بالفضائل . إذا أردت أن تزكي النفس ؛ فعليك أن تبدأ بتطهيرها ، إزالة ما بها من رجس وخبث ، رجس الشرك ، وخبث النفاق ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (الحج:٣٠،٣١) .

الشرك انحطاط والتوحيد ارتقاء :

الشرك : انحطاط وهُوِيّ من الأعلى إلى الأسفل . أما التوحيد : فهو ارتقاء بالإنسان ؛ أن تعلم أنه لا رب إلا الله ، لا خالق ولا رازق ، ولا محيي ولا مميت ، ولا نافع ولا ضار ؛ إلا الله . الله هو مالك السماوات والأرض ، وملك السماوات والأرض ، فلا تبغي غير الله ربا ، ولا تتخذ غير الله وليّا ، ولا تبتغي غير الله حكما ، هذا هو التوحيد الحقيقي ؛ أن تفرد الله وحده بالعبادة والاستعانة ، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة:٥) ، هذا ما تقوله لربك كل يوم سبع عشر مرة على الأقل ، وأنت تقرأ فاتحة الكتاب في كل فرض ، (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك ، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأنعام:١٦٢،١٦٣) .

أول ما يُزكي نفسك : أن تتحقق بالتوحيد ، فلا تذل لغير الله ، ولا تنحني لغير الله ، غيرُ الله لا يملك لك ضراً ولا نفعاً ، ولا خفضاً ولا رفعاً ، الرزق بيد الله ، لا يملك مخلوق أن يزيد في رزقك درهماً يضاف إلى خزانتك ، ولا يملك لقمة تدخل في بطنك ، الله هو الرزّاق ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات:٥٨) ، ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود:٦) ، والآجال التي يخاف عليها الناس ؛ لا يستطيع أحد أن يزيد في عمرك دقيقة أو لحظة ، ولا يستطيع أن ينقص من عمرك دقيقة أو لحظة ، ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (نوح:٤) ، ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون:١١)، ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف:٣٤) ، لا تخف إلاّ الله ، ولا تذل نفسك إلاّ لله ، ابسط يدك إليه ، واسأله ما شئت ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (النساء:٣٢) .

هذا أول ما يُزكّى : نفسُك ؛ أن توحّد الله عز وجل ، وتتطهر من رذائل الشرك ؛ أكبرِه وأصغرِه ، جليّه وخفيّه .

ثانيا : تطهير الأنفس من النفاق :

ثم تتطهر من رذائل النفاق والمنافقين ، لا تكن مذبذباً ، لك أكثر من وجه ، ولك أكثر من لسان ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾ (النساء:١٤٣) ، لا تكن من هؤلاء الذين يقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة:٨،٩) .

تحرر من هذا النفاق الذي هو سوس المجتمعات ، والذي يفسد الحياة ويدمرها إذا شاعت رذائل المنافقين ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (النساء:١٤٢)

منافقو هذا الزمان :

وفي زمننا هذا منافقون ؛ لا يقومون إلى الصلاة كُسالى ولا نشيطين ، لا يعرفون لله حقاً ، ولا يحنون له ظهراً ، ولا يُعفّرون له جبهة ، منافقو اليوم وهم يدعون الإسلام ؛ لا يذكرون الله كثيراً ولا قليلاً ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (الزمر:٤٥).

أخي المسلم

تحرر من رذائل النفاق . لا تكن من هؤلاء الذين يتلونون تلون الحرباء ويروغون روغان الثعالب :

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب

مخاطر اتباع النفس الأمارة بالسوء :

أول ما يطلب منك لتزكي نفسك : أن تتطهر من رذائل الشرك ، ورذائل النفاق ، « آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان »[1] وفي حديث آخر « إذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »[2] ، أخلاق المنافقين معروفة ، إذا تطهرت من هذه الرذائل والآفات ؛ فعليك أن تبني

---

(١) رواه البخاري في الإيمان (٣٣) عن أبي هريرة ، ومسلم في الإيمان (٥٩) والترمذي في الإيمان (٢٦٣١) والنسائي في « المجتبى » كتاب الإيمان (٥٠٢١).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في الإيمان (٣٤) عن ابن عمر ، واللفظ له ، ومسلم في الإيمان (٥٨) ، وأبو داود في السنة (٤٦٨٨) ، والترمذي في الإيمان (٢٦٣٢) ، والنسائي في « المجتبى » كتاب الإيمان وشرائعه (٥٠٢٠).

OBEIKAN.COM

نفسك من جديد ، أن تُحَلِّيها بخصال المؤمنين ، وفضائل الموحدين ، وهذا يحتاج إلى جهاد وإلى رياضة ، أن تروّض نفسك . النفس ليست سهلة القيادة ، ولا سلسة الانقياد .

هناك غرائز وشهوات ، تدفعها إلى الشر ، ولذلك وصف الله هذه النفس على لسان امرأة العزيز فقالت : ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (يوسف:٥٣) ، إذا تركت النفس وهواها . . إذا تركت النفس لغرائزها وشهواتها ؛ أَمرت بالسوء ، وأَمرت بالفحشاء ، وزَينت لك كل شر ، تُسوّل لك نفسك حتى ترتكب الجريمة ، وحتى تغرق في المعاصي ؛ معصية وراء معصية ، حتى ترديك وتهلك ، ولا تجد لنفسك مخرجاً في هذه الحالة .

نماذج للنفس الأمّارة بالسوء :

١- ابن آدم الأول :

انظر إلى أحد ابني آدم حينما ﴿ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ ﴾ (المائدة:٢٧) ، قبل الله قربان ابن آدم الطيب ، المخلص ، الخيّر . . ولم يقبل قربان ذلك الشرير ، فقال لأخيه : **(لأقتلنك)** ، ما ذنبه حتى تقتله؟ ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة:٢٧) . ابحث عن نفسك ، ابحث ماذا في نفسك ، حتى إن الله لم يقبل قربانك ، ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة:٢٧،٢٨) ، فماذا كانت النتيجة ؟ يقول الله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة:٣٠) ، طوّعت له نفسه قتل أخيه ، نفسه الأمارة بالسوء هي التي طوعت له ، وسوّلت له ؛ قتْل أخيه فقتله .

لم يكن هناك مجتمع حتى يقول الاجتماعيون (دور كايم ومدرسته) : إن هذا ضحية المجتمع مِن حوله ، وإن كل ما يحدث من شرور هو نتيجة التأثير

OBEIKAN.COM

المجتمعي على الفرد . لم يكن هناك مجتمع حتى إنه لم يعرف كيف يواري سوءة أخيه ، أول إنسان يموت ، لا يعرف كيف يفعل بجثة الميت ؛ حتى جاء غراب ، بعث الله له غراباً فعلّمه كيف يواري سوءة أخيه . النفس الأمارة بالسوء هي التي سولّت له أن يقتل أخاه .

٢- إخوة يوسف :

هذه النفس الأمارة بالسوء : هي التي سولّت لإخوة يوسف ، وأبناء يعقوب ، أبناء الأنبياء ، سولّت لهم أن يفكروا في قتل أخيهم الصغير ، البريء الذي لا ذنب له ؛ إلا أن أباه يحبه أكثر من غيره ، ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾ (يوسف:٩،١٠)، واتفقوا على أن يطرحوه (فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ) ، في بئر مهملة قديمة ، وفعلوا ما فعلوا ، ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ (يوسف:١٦) ، يدّعون أن الذئب قد أكله ، فقال لهم أبوهم : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف:١٨) . أنفسهم الأمارة بالسوء هي التي سولت لهم أن يفعلوا بأخيهم الصغير ما فعلوا .

٣- السامري :

النفس تستطيع أن تلقي الإنسان في مهاوي الهلاك ، إذا استجاب لغرائزها ، وانطلق وراء شهواتها ، واستمع لوسوستها ، هكذا فعل أيضاً السامري ؛ حين زيّن لقوم موسى ، لبني إسرائيل في غيبة موسى ، وهو يناجي ربه على جبل الطور ، زين لهم أن يعبدوا العجل ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ (طه:٨٨) وظلوا عليه عاكفين حتى جاء موسى ، وقاوم هذه الفتنة ، وقال له السامري : فعلت كذا وكذا ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ (طه:٩٦).

النفس أمارة بالسوء ؛ ولا بد من جهادها حتى تنقاد للحق ، لا بد من جهاد هذه النفس والنبي ﷺ يقول :« المجاهد مَن جاهد نفسه في طاعة الله »[1] ، وروي عنه أنه قال :« الكيّس من دان نفسه ـ حاسبها وحاكمها ـ وعمل لما بعد الموت »[2] . والله تعالى يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (العنكبوت:٦٩) .

كيف تكون أنفُسُنا أنفسا لوّامة؟

لا بد أن تجاهد هواك ، وتجاهد نفسك ، حتى تنتقل من نفس أمارة بالسوء إلى نفس لوامة ، وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة:١،٢) ، النفس اللوامة : هي التي تكثر اللوم لصاحبها ، إذا قصّر في فعل واجب ، أو وقع في فعل شرّ ؛ تلومه ، تؤنبه[3] ، تقول له : لماذا فعلت كذا ؟ ولماذا لم تفعل كذا؟ كأنها تلسعه بسوط يلهب ظهره .

---

(١) جزء من حديث رواه أحمد في المسند (٢٣٩٥٨) ، وقال محققوه : إسناده صحيح ، والترمذي في فضائل الجهاد (١٦٢١) وقال : حسن صحيح ، وابن حبان في صحيحه كتاب السير (٤٨٤/١٠) ، وقال الأرناؤوط : إسناده صحيح ، والطبراني في الكبير (٣٠٩/١٨) ، والحاكم في المستدرك كتاب الإيمان (٥٤/١) ، وقال : وزيادة أخرى على شرط مسلم ولم يخرجاها ، وسكت عنه الذهبي في التلخيص ، والبيهقي في الشعب (٤٩٩/٧) ، عن فضالة بن عبيد.

(٢) جزء من حديث رواه أحمد في المسند وبقيته :« والعاجز من أتبع نفسه هواها ثم تمنى على الله » رواه أحمد في المسند (١٧١٢٣) عن شداد بن أوس ، وقال محققوه : إسناده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم ، ورواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٦٠) والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٩) ، وقال : حديث حسن ، والحاكم في المستدرك (٢٨٠/٤) ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٩٣٠).

(٣) أشار إلى هذا الحسن في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة:١،٢) فقال : هي والله نفس المؤمن ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه. انظر : تفسير القرطبي (٨٤/١٩).

هذا التأنيب الداخلي ، هذه المحاسبة ، هذا اللوم ؛ هذا الذي يسمونه الآن : الضمير الحي ؛ هو النفس اللوامة ، ولا يُنشئ هذه النفس اللوامة شيء مثل : الإيمان ؛ الإيمان بالله ، والإيمان بالدار الآخرة ، والإيمان بالحساب ، والثواب والعقاب ؛ هو الذي يحيي هذا الضمير ، ينشئ هذه النفس اللوامة ؛ التي تلوم صاحبها دائماً ولا تتركه يهنأ بعيش ، أو يلتذ بنوم ؛ لأنه قصّر في حق من حقوق الله ، أو حق من حقوق الناس .

كيف نرتقي بأنفسنا إلى الأنفس المطمئنة؟

إذا ارتقت النفس الأمارة إلى هذه المرتبة ؛ مرتبة النفس اللوامة ما زال صاحبها يجاهدها ويرقيها ، ويرقى بها حتى تصل إلى مرتبة أعلى وأسمى ، هي مرتبة النفس المطمئنة ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ (الفجر:٢٧-٣٠) هي نفس واحدة ليست نفوساً ثلاثة ، ولكن كل واحدة من هذه مرتبة من مراتب النفس ، ترقى إليها ، وإنما ترقى إليها بالمجاهدة ، كما قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت:٦٩) .

جهاد النفس ليس بالأمر السهل ، ولا بالشيء الهيّن ، إنه يحتاج إلى يقظة ، ويحتاج إلى إرادة ، ويحتاج إلى عمل مستمر ، وإلى رقابة ، « كونترول » ذاتي في داخل الإنسان ، يراقب أعماله دون أن يكون عليه تفتيش من الخارج ، ولا رقابة من دولة ، ولا من إدارة ، هو الذي يراقب نفسه ، هذا هو الذي يرقى بالنفس .

هذه الرقابة ليست بالأمر السهل ، الإمام الغزالي يقول : جهاد النفس صعب ؛ لأمرين :

الأمر الأول : أن النفس عدو محبوب : فإن كان ـ الأمر ـ كما يقول بعض الصالحين : أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك ـ يقول : هذا العدو خطره أنه

عدو محبوب، إذا كان عدوك مكروهاً فهذا أمره سهل، في قلبك من البغض له، ومن الحقد عليه ؛ ما يجعلك تحترس منه ، وتحذر من مزالقه . إنما إذا كنت تحب عدوك فهذه مشكلة .

الأمر الثاني : أن النفس عدو من الداخل : لكن هذا العدو عدو من الداخل ، يقول : تستطيع أن تحترس من اللص ؛ إذا كان اللص من خارج الدار ؛ فأحكم إغلاق الباب، فلا يستطيع أن يدخل إليك. ولكن إذا كان اللص من داخل دارك، معك في البيت ، ينام معك ، ويستيقظ معك ، ويعرف أسرارك ، ومداخلك ومخارجك ، إذا كان خادم عندك مثلاً ، ويعيش معك ؛ كيف تحترس منه؟ هذا ما جعل أحد الصالحين يقول :

نفسي إلى ما ضرني داع ... تثير آلامي وأوجاعي
كيف احتيالي من عدوي ... إذا كان عدوي بين أضلاعي؟!

عدوه يسكن بين ضلوعه . هذا هو خطر النفس ، ولذلك عليك أن تُشمر عن ساعدك وأن تستيقظ لعدوك ، وأن تعد له أسلحتك ، وأن تتهيأ لمواجهته في كل لحظة ، هذا هو عمل الصالحين الذين أخذوا أنفسهم بالتزكية .

مراتب تزكية النفس :

يقول ابن القيم[1] رحمه الله في مجاهدة النفس : مجاهدة النفس أربع مراتب :

١ــ مجاهدة النفس على التعلم :

المرتبة الأولى : أن تجاهدها على أن تتعلم ما جاء به رسول الله ﷺ من الهدى ودين الحق، أن تتفقه في دينها، أن تتعلم ما لها وما عليها، أن تعرف ما يضرها في دينها وفي آخرتها ، كما تعرف ما يضرها في دنياها .

---

(١) انظر : زاد المعاد (٣/ ٩ ، ١٠).

هذا الجهاد الأول ؛ تجاهد النفس حتى تتعلم ، بعض الناس لا يريد أن يقرأ كتاباً ليفهم الإسلام ، يجلس أمام التليفزيون أمام الساعات ليشاهد المسلسلات ، أو يسمع الأغاني ، وقد يقرأ مجلة حافلة بالصور الخليعة ، ونحو ذلك . . ولا يكلف نفسه أن يتفقه في دينه ؛ أن يقرأ كتاباً في العقيدة ، كتاباً في الفقه ، كتاباً في السيرة النبوية ، كتاباً في حديث رسول الله ، كتاباً في تفسير كتاب الله ، كتاباً في الدعوة الإسلامية . لا بد أن تقرأ .

الأمة التي أول آية في كتابها (اقرأ) ، للأسف لا تقرأ . للأسف أمتنا لا تتعلم ولا تفقه ، الغربيون الذين ننقدهم في كثير من الأشياء يقرأون ، يجلس الإنسان بجوار خواجة في الطائرة ، يراه طول الطريق يقرأ ، تمر عليهم في الحدائق ؛ كل واحد معه كتاب يقرأه ، يورثون أبناءهم مكتبات فيها عدد من الكتب ، نحن لا نفعل ذلك .

أول العلم بدين الله :

وأول ما ينبغي علينا أن نتعلم دين الله ، إنما العلم بالتعلم ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل:٧٨) ، أعطاكم المفاتيح ، أعطاكم النوافذ التي تطلون منها على العالم ، السمع والبصر والفؤاد ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء:٣٦) . أول مرتبة أن تتعلم .

٢- العمل بما علمت :

المرتبة الثانية : وثاني مرتبة أن تعمل بما تعلمته ، فالعلم في الإسلام ليس لمجرد التلذذ والاستمتاع ، العلم للعمل ، إنما تتعلم الدين ليساعدك على أن تسلك السلوك الطيب المستقيم ؛ حتى لا تمضي على جهل ، فإن من تعبد الله على جهل ، فإنما يفسد أكثر مما يصلح ، لذلك قال الإمام الحسن البصري[1] :

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٨٧).

العامل على غير علم يفسد أكثر مما يصلح ، فاطلبوا العلم طلباً لا يضر بالعبادة ، واطلبوا العبادة طلباً لا يضر بالعلم ، فإن قوماً تركوا العلم وذهبوا إلى العبادة ؛ فخرجوا بأسيافهم على أمة محمد ـ يريد الخوارج ، الذين لم يتفقهوا في الدين كما ينبغي ـ فتركوا أهل الأوثان وقتلوا أهل الإسلام ، وعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر ، لا تكن مثل الحمار يحمل أسفاراً بل اعمل بعلمك ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة:٤٤) .

هذه هي المرتبة الثانية من جهاد النفس : أن تجاهدها حتى تعمل بما علمت .

٣- مجاهدة النفس في تعليم ما تعلمت :

المرتبة الثالثة : والمرتبة الثالثة أن تجاهد نفسك لتعلم غيرك ما تعلمتَه ، وتدعوه إلى ما عملتَ به ، لا تحتكر الخير لنفسك ، أدّ زكاة علمك ، كما تؤدّ زكاة مالك ، إذا أنعم الله عليك بنصاب من المال ؛ وجب عليك أن تزكيه ، وتنفع غيرك كما نفعك الله بالمال ، وكذلك العلم ؛ إذا ملكت نصاباً من العلم فأدّ زكاته ، علّم غيرك ، لا تحتقر أي شيء ، الكلمة الطيبة صدقة ، لو علمته كلمة خير ؛ فهي في ميزانك يوم القيامة ، وليس هناك أفضل من كلمة خير تهديها لمسلم ، تدله على هدى ، أو ترده عن ردى .

كل مسلم داعية لدينه :

نِعم الهدية ، ونِعم العطية ، هذه الكلمة يهديها المسلم إلى أخيه ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت:٣٣) كل مسلم عليه أن يدعو غيره ، كل مسلم داعية لدينه ، ليس الدعاة هم المشايخ والعلماء ؛ كل يدعو بقدر ما يستطيع ، اقرأ قول الله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف:١٠٨)

كلنا دعاة إلى الله على بصيرة ، ادع أهلك ، ادع زوجتك ، ادع أولادك ، ادع جيرانك ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (طه:١٣٢) ، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (التحريم:٦) جاهد نفسك على أن تعلم الآخرين ، وتدعوهم إلى ما تعلمته وعملت به ، لا تكن أنانياً ، حاول أن تشيع النور والهداية فيمن حولك ، ثم في الناس جميعاً بعد ذلك .

٤- الصبر على مشقة الطريق :

المرتبة الرابعة : والمرتبة الرابعة التي ذكرها الإمام ابن القيم : أن تجاهد نفسك حتى تصبر على مشقة الطريق ، هذا الطريق طريق طويل ، طريق حافل بالمشقات ، مدرج بالدماء ، مليء بالجثث ، مزروع بالأشواك ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة:٢١٤) ، الطريق مضرج بالدماء ، لا تظن أنه مفروش بالورود والرياحين ، لا . مستهم البأساء ، البؤس هو : الفقر في أموالهم . والضراء هو : التعذيب والجراحات في أبدانهم ، والزلزلة والقلق في نفوسهم ؛ حتى يقولوا : (متى نَصْرُ اللَّهِ؟) ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (يوسف:١١٠) .

يقول ابن القيم[1] : يا مخنث العزم أين أنت؟! والطريق طريق تعب فيه آدم ، وناح لأجله نوح ، ورمى في النار الخليل ، واضطجع للذبح إسماعيل ، وبيع يوسف بثمن بخس ، ولبث في السجن بضع سنين ، ونشر بالمنشار زكريا ، وذبح السيد الحصور يحيى ، وقاسى الضر أيوب ، وزاد على المقدار بكاء داود ، وسار مع الوحش عيسي ، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد . .

---

(١) انظر : الفوائد لابن القيم (١/ ٤٢) .

وظل ابن القيم يذكر سلسلة دامية الحلقات ؛ من الصديقين والشهداء ، الذين قاسوا في طريق الله ما قاسوا ، وهو يقول : يا مخنث العزم . يريد عزائم رجولية ، لا عزائم مخنثة .

هذا الطريق يحتاج إلى أولي العزم ، كما قال الله لرسوله : ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ (الأحقاف:٣٥) ، وكما خاطب الله أهل الإيمان : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (آل عمران:١٨٦) .

سلعة الله غالية :

طريق شاق ، فإذا كنت تريدها غنيمة باردة ، وبيضة مقشورة ، ولقمة سائغة ، لا تبذل فيها جهداً ، ولا تتحمل فيها ألماً ؛ فابحث لك عن طريق آخر ، أما طريق الجنة ، « فإن الجنة حفت بالمكاره كما حفت النار بالشهوات »[1]، فلا بد أن تصبر على المكاره حتى تنال الجنة ؛ وما أدراك ما الجنة؟ إذا أردت الجنة فلا بد أن تبذل لها ثمنها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (التوبة:١١١).

في يوم غزوة بدر ؛ وقف النبي ﷺ يحرض المؤمنين على القتال ؛ فقال : « أيها الناس قوموا إلى جنة عرضها كعرض السماوات والأرض، والله! لا يقاتلهم اليوم رجل ؛ فيلقاهم صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، فيقتل إلا أدخله الله الجنه » فقام عمير بن الحمام الأنصاري ، وقال : بخ بخ يا رسول ـ بخ بخ كلمة تدل على التعجب والاستحسان ـ فقال له رسول الله : مم « تبخبخ » يا ابن الحمام؟ قال : أليس بيني وبين الجنة إلا أن أتقدم فأقاتل فيقتلني هؤلاء؟ قال :

---

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٢٢) والترمذي في أبواب صفة الجنة (٢٥٥٩).

بلى ، قال فإني «أبخبخ» رجاء أن أكون من أهلها . وكان في يده تمرات يلوكها بلسانه ، أكل منها تمرة أو تمرتين ، ثم قال : أأعيش حتى آكل هذه التمرات ، إنها لحياة طويلة ، ثم ألقى بالتمرات من يده ، وظل يقاتل وهو ينشد :

ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

وقاتل حتى قتل وتحقق له ما أراد[1] .

سلعة الله لا تنال إلا بالتعب :

من أراد الجنة فليدفع الثمن ، وليسر في طريقها ، وليُسع لها سعيها . أما الكسالى والمتقاعسون ، أما من يريد الجنة بالتثاؤب ، بالتكاسل ، بالضياع ، بالفراغ ، باللهو ، بالغفلة ، بالمعاصي . . . فهيهات هيهات . ابحثوا لكم عن طريق آخر أيها الغافلون . الجنة إنما تنال بالمجاهدة ، ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ (الحج:٧٨).

---

(١) قصة عمير بن الحمام هذه عند مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : انطلق النبي ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون ، فقال النبي ﷺ : (لا يتقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه) فدنا المشركون ، فقال رسول الله ﷺ : «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض». قال عمير ابن الحمام : يا رسول الله ، أجنة عرضها السماوات والأرض ؟ قال : (نعم) قال : بخ بخ ! فقال رسول الله ﷺ : (ما يحملك على قولك بخ بخ ؟) فقال : لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال : (فإنك من أهلها) فأخرج تمرات من قِرْنه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : إن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتل حتى قتل» رواه مسلم في الجهاد (١٩٠١) ، وأحمد في المسند (١٢٣٩٨) ، وأبو داود في الجهاد (٢٦١٨) ، عن أنس . وبقية القصة ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية (٣/ ٢٧٧).

وأول الجهاد : جهاد الأنفس ؛ فجاهدوا في الله حق جهاده ، جاهدوا أهواءكم ، وحددوا أهدافكم ، وأخلصوا نياتكم لله .

طريق تزكية الأنفس طريق طويل ، سنتحدث عنه في الأسابيع المقبلة إن شاء الله أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ؛ فاستغفروه . إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

مشكلة الحجاب في فرنسا[1] :

وافقت الجمعية الوطنية الفرنسية التي هي برلمان فرنسا ؛ وافقت على منع الحجاب في الأماكن العامة وغيرها بأغلبية ساحقة ، ولم تستمع فرنسا إلى نداءات المسلمين المخلصين في بلاد شتّى ، حتى في أوروبا نفسها ، في فرنسا ، وفي إنجلترا ، وفي غيرها من البلاد ، وإن كان هناك أمل أنها ستتراجع عن هذا الموضوع بعد سنة .

وأحب أن أُعلق على هذا الأمر بأن الحُجَّة التي تذرعت بها فرنسا ؛ حُجَّة باطلة مئة في المئة ، لا وجه لها بحال من الأحوال ، إنها زعمت أن الحجاب من الرموز الدينية ، شبهته بالصليب على صدر المسيحية ، وبالقلنسوة على رأس اليهودي ، وهذا ليس بصحيح بالمرة .

---

(١) لفضيلة الشيخ خطبة كاملة بعنوان : « فرنسا وقضية الحجاب » (خطب القرضاوي ج٦/ ٢١٨) ، وهي خطبة جديرة بالمراجعة ؛ كما أن للشيخ رسالة وجهها إلى رئيس فرنسا بعد قانون منع الحجاب في فرنسا نشرها موقع القرضاوي . نت « qaradawi.net » « إسلام أون لاين » « islam-online.com »

OBEIKAN.COM

أمران لا بد منهما :

ولي على هذا الكلام أمران :

الأمر الأول : الحجاب ليس رمزاً دينياً :

لا يوجد رمز ديني يعتبر فرضا من الفرائض ، الرموز الدينية هي الأشياء المستحبة في الأديان ، تُعلّق شيئاً يعبر عن دينك ، هذا ليس من الفروض ، قرأتُ الإنجيل كله ؛ لم أجد فيه فقرة من الفقرات ، ولا آية من الآيات ، تقول : علقوا الصليب في صدوركم ، لكن وجدنا في القرآن ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ** ﴾ (النور:٣١) ، ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ (الأحزاب:٥٩) .

هذا فرض من الله تبارك وتعالى ، ليس رمزاً ، لا تفكر المسلمة أنها ترمز لدينها ؛ بدليل أنها تخلعه أمام النساء وتلبسه أمام الرجال . لو كان رمزاً لماذا لا تلبسه أمام النساء؟ إنها تخلعه أمام أبيها وأخيها ، وابن أخيها وابن أختها ، وعمها وخالها ، ومحارمها ، وتلبسه أمام الأجانب ، هل هناك رمز بهذه الطريقة؟ هذا ليس رمزاً دينياً بأية حال . هذا ما يجب أن يتمسك به المسلمون في أنحاء العالم ، هذا ليس رمزا ، هذا لباس حشمة يفرضه الإسلام . وقلت غير مرة : الرمز ما ليس له وظيفة إلا أنه يعلن عن صاحبه وهذا ليس مقصوداً بالحجاب قط .

الأمر الثاني : هذا القرار يتنافى مع العلمانية :

إنهم قالوا : إن هذا يتنافى مع العلمانية ، والعلمانية محايدة في أمر الدين ، ونقول في هذه الحالة : منع الحجاب هو الذي يتنافى مع العلمانية ، لأنه ينقل العلمانية من محايدة في أمر الدين إلى علمانية مضطهدة لبعض المتدينين ،

لأنني إذا منعت المسلمة من أن تؤدي فرضاً من فرائض دينها ؛ إذا أجبرتها أن تخالف أمر ربها ، فقد اضطهدت المسلمة ، خصصتها بالاضطهاد من دون الآخرين ، المسيحيون يمكنهم ألا يضعوا الصليب على صدورهم ، وهم بذلك لم يفرطوا في دينهم ، واليهود يمكنهم ألا يلبسوا القلنسوة ، وهم بذلك لم يمتنعوا عن واجب ديني .

لكن المسلمة حينما تقهر على هذا فإنها تجبر على مخالفة الدين ؛ تجبر على أن ترتكب محرماً ؛ على أن تترك واجباً أوجبه الله عليها ، وهذا ينافي دستور فرنسا الذي يسوي بين المواطنين ، ولا يجيز اضطهاد طائفة منهم لحساب أخرى ، هذا اضطهاد للمسلمة لحساب الأخريات ، هذا تفريق بين المواطنين بسبب الدين ، هذا ضد حقوق الإنسان .

كلام غريب من شيخ كبير :

ولذلك أنا أعجب لبعض مشايخ المسلمين الذين قالوا : إن هذا من حق فرنسا (هذا حقها ، هذا حقها ، هذا حقها) ، هذا كلام ليس فيه أي أثرة من إدراك لحقيقة الموقف .

ليس من حق أي بلد أن تصدر قانوناً يظلم بعض المواطنين . هل من حق فرعون أن يصدر قانوناً يذبّح به أبناء بني إسرائيل ويستحي نساءهم؟ هو أصدر قانون بهذا ، والله تعالى جعل هذا من الطغيان والإفساد ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص: ٤) .

لماذا حاربوا طالبان إذنْ ؟!

لقد حاربوا طالبان ، وقالوا : إنها تظلم بعض المواطنين ، وتجبر المرأة على عدم التعلم ، أو تعمل كذا ، أو تَنْصُر بن لادن . . ولم يقولوا : إنها حرة في

OBEIKAN.COM

ديارها ، لا يمكن أن يكون لأي دولة الحق في أنها تقرر من القوانين ما يظلم بعض الناس ، ويجور على حقوقهم ، هذا ضد الدساتير ، ضد ميثاق حقوق الإنسان ، ضد مواثيق الأمم المتحدة ، ضد الاتفاقات الدولية .

ولذلك نحن ننكر هذا ، ولا زلنا نأمل في عقلاء فرنسا ، وحكماء فرنسا ؛ في أن يراجعوا الأمر من جديد ، ولا يعادوا المسلمين في العالم بالضغط على المسلمات ، أن يستضعفوا المسلمات ليجبروهن على ترك الحجاب ، أو يجبروهن على ترك التعلم ، كِلا الأمرين لا يقبل أبداً .

نحن نناشد فرنسا ، ونناشد الرئيس الفرنسي ، ونناشد العقلاء الفرنسيين : أن يراجعوا هذا الأمر ، ويراجعوا علاقتهم مع المسلمين في أنحاء العالم ، إذا كانت فرنسا تريد أن تفتح صفحة جديدة ؛ وقد فتحت صفحة جديدة ، ورحّب بها المسلمون ، وتحررت من أسر القرار الأمريكي في كثير من الأحيان .

أسأل الله تعالى أن يسدد الخطى وينير الطريق .

دعاء للمرابطين في أرض النبوات :

وأحب أيها الإخوة أن ندعو بحرقة وحرارة لإخواننا في أرضِ النبوات في أرض الإسراء والمعراج في أرض البطولات في أرض الشهداء التي تقدم كل يوم عشرات الشهداء ولا زال شارون يتبجح ويستكبر في الأرض بغير الحق ، ويهدد ويتوعد ، والأمة العربية والإسلامية تنام نومة أهل الكهف ، تغط في سبات عميق ، في صمت كأنه صمت أهل القبور .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يشد أزر إخواننا الأبطال في جهادهم ، أن يقويهم في بطولاتهم ، أن ينير الطريق أمامهم ، أن يأخذ بأيديهم إلى مواطن النصر ، أن يحرسهم بعينه التي لا تنام ويكلأهم في كنفه الذي لا يضام .

* * *

OBEIKAN.COM

(٩)

تحرير النفس من سجن الغفلة [١]

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون . . .

تزكية النفس نوعان :

تحدثنا في الجمعة الماضية عن تزكية الأنفس التي بدونها لا يفلح الإنسان ، ولا يحصل على ما يريد في الدنيا ولا في الآخرة ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس:٩،١٠)، وأود أن أنبه هنا على فائدة علمية : تزكية النفس في القرآن لها معنيان ، معنى مذموم ، ومعنى ممدوح .

التزكية المذمومة :

المعنى المذموم هو : تزكية النفس بمدحها والثناء عليها ، وهذا أمر منهي عنه كما قال تعالى : ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ (النجم:٣٢) ، لا تقل : أنا فعلت كذا ، وأنا (سويت) كذا . الناس يقولون : لا يشكر نفسه إلا إبليس ، لأنه هو الذي مدح نفسه ، وقال عن آدم : أنا خير منه . واليهود مدحوا أنفسهم وقالوا : نحن شعب الله المختار ، نحن أبناء الله وأحباؤه! فنزل القرآن يذمّهم على ذلك ويقول ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ - أي يمدحونها ويضخمونها - بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ (النساء:٤٩).

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة في يوم الجمعة ٣٠ من ذي الحجة ١٤٢٤هـ ، الموافق ٢٠ فبراير ٢٠٠٤م .

OBEIKAN.COM

التزكية الممدوحة :

أما المعنى المحمود والممدوح ؛ فهو الذي نتحدث عنه ، تزكية النفس بمعنى العمل على طهارتها ونمائها ، أن نطهرها من رذائل الشرك ، ورذائل النفاق ، وأن ننميها بفضائل التوحيد ، وفضائل الإيمان والإخلاص . أن نأخذها بمنهج «التخلية والتحلية» ، التخلية من الرذائل والتحلية بالفضائل . هذه التزكية هي المطلوبة ، ولا يفلح الفرد ولا تصلح الأمة ؛ إلا بهذه التزكية النفسية ، التي هي أساس كل خير وصلاح في الدنيا والآخرة ؛ للفرد والجماعة وللأمة وللدولة .

ولكن كيف نزكي أنفسنا؟

إخراج النفس من سجن الغفلة :

أول ما ينبغي أن نبدأ به في تزكية الأنفس : أن نخرجها من سجن الغفلة ، شر ما يصاب به الإنسان هو الغفلة ، أن يعيش غافلاً عن مهمته في هذه الحياة ، يعيش غافلاً عمّا هو مكلف به ؛ غافلاً عن ربه ، غافلاً عن ذكره ، غافلاً عن آخرته ، هذه هي المصيبة الكبرى . الناس يعيشون في الدنيا وكأنهم مخلدون ، لا يدركون أنهم سينتقلون إلى دار آخرة ، سيحاسبون على كل كلمة قالوها ؛ جهراً كانت أم سرا ، على كل عمل فعلوه ؛ خيراً كان أم شرا ، على كل خطوة مشوها ؛ بحراً كانت أم برا . كل شيء ستسأل عنه .

غفلة في أمر الدين فقط!

المشكلة أن الناس في غفلة لاهون ، وفي غمرة ساهون ، الناس يجلسون بعضهم إلى بعض ، كل حديثهم : عن الدنيا ، عن المال ، عن النساء ، عن الشهوات ، عن البورصة ، عن الأسهم ، عن الربح ، عن الخسارة . . . وهم عن الآخرة هم غافلون .

الناس يحفظون الأغاني ، وموسيقى الأغاني . ويحفظ الشباب أسماء الممثلين والممثلات ، والمطربين والمطربات ، الأحياء منهم والأموات . ولو سألتهم عن الصحابة أو التابعين ، أو العلماء أو الزاهدين ، أو الصالحين ؛ لا يعرف عنهم شيئاً .

الغفلة هي سر الداء أيها الإخوة ، نريد أن نخرج من سجن الغفلة ، الله سبحانه وتعالى وصف أهل جهنم ؛ الناس الذين جعلهم حطب جهنم ، ووقود النار فماذا قال؟ قال : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٩) .

الله أعطاهم هذه الأدوات ؛ ولكنهم خرّبوها وعطّلوها ، فلم تعد تؤدي مهمتها . القلوب لا تفقه ، والأعين لا تُبصر ، والآذان لا تسمع . ما قيمة الأذن إذا لم تستمع إلى الخير؟ ما قيمة العين إذا لم تعتبر بما ترى؟ ما قيمة القلب والعقل إذا لم يفقه ما له ، وماذا عليه ، وماذا ينتظره؟

أبنيَّ إن من الرجال بهيمة ... في صورة الرجل السميع المبصر
فطن لكل مصيبة في ماله ... وإذا أصيب بدينه لم يشعر

لو خسر في شركة ، أو في تجارة ؛ يفهم ويفطن ويتحسر ، ولكن إذا أصيب في دينه ، إذا ترك صلاة لم يؤدها ، إذا لم يؤد حقاً لله أو حقاً للعباد ؛ لم يؤثر ذلك في نفسه ، لم يورثه حسرة ولا أسفا ، لم يقل : ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (الزمر:٥٦) ، هذا بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر .

متى يَفْضُل الحيوان الإنسان؟!

القرآن يكمل الآية التي ذكرناها : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ

ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٩). أضل من الأنعام سبيلاً ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (الفرقان:٤٣،٤٤) .

البقرة أو الجاموسة أفضل منه ، الجمل والناقة أفضل منه ، الكبش والنعجة أفضل منه ، البغل والحمار أفضل منه ، البهائم أرقى منزلة وأهدى سبيلا ؛ من هذا الإنسان الذي كرَّمه الله ، ومنحه العقل ، وأعطاه الإرادة ، وأنزل عليه الكتب ، وبعث له الرسل .

الأنعام والبهائم أفضل من هذا الإنسان ، لماذا؟

أولاً : الأنعام معذورة ، إنها لم تؤت ما أوتي الإنسان ؛ من هذه المواهب العقلية والروحية . ليس لها عقل تفكر به ، ولا إرادة ترجح بها ، ولم ينزل لها كتاب ، ولم يبعث لها رسول .

ثانيًا : ومن ناحية أخرى الأنعام أيها الإخوة : تؤدي مهمتها في الحياة ، الحمار يحمل الأشياء ، الإبل تقوم بدورها ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل:٧) .

هل رأيت بقرة تمردت على أن تحلب؟ هل رأيت حماراً تمرد على أن يركب؟ كلٌّ يؤدي رسالته في الحياة . ولكن الإنسان المكرّم ، المستخلف في الأرض ، الذي سخر الله له ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنه ؛ هذا الإنسان لم يُؤدِّ رسالته ، لأن رسالته : أن يعرف الله ، ويعبد الله ، ويعمر أرض الله ، ويقوم بالخلافة في أرض الله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات:٥٦،٥٨) .

لم تتمرد الأنعام على رسالتها ، وقد تمرد الإنسان على رسالته ؛ فلم يؤد لربه حقه كما يجب ، ولم يقم بخلافته في أرضه كما ينبغي ، لهذا كان أضل من الأنعام سبيلا ، ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٩)

انظر إلى هذا التذييل ؛ هذا هو مفتاح القضية كلها ، أولئك هم الغافلون ، ما سبب هذا التسفل والتنزل والهبوط إلى مستوى الحيوانية والأنعامية، أو أضل؟

ما سبب هذا ؟ هي : الغفلة ، ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ .

فيم تكون الغفلة؟

١- الغفلة عن ذكر الله :

عمّ غفل هؤلاء؟

أولا : غفلوا عن الله عز وجل ، وعن حقه ، وعن ذكره ؛ كما قال الله تعالى لرسوله : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾[1] (الكهف:٢٨) ، انفرط أمره ، وأصبح سائباً ، غير منضبط ولا مرتبط ، واتبع هواه وشهواته . سبب هذا هو غفلة القلب عن ذكر الله . لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، نسي الله ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (الحشر:١٩) ، أنساهم حقيقة ذواتهم . نسوا ما هم ومن هم بنسيانهم لله ، نسوا الله فنسيهم[2]، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم ، تركوا الله فتركهم ، ولاّهم ما تولوا . الغفلة عن ذكر الله .

---

(١) قال صاحب لسان العرب : أمرٌ فُرُطٌ : أي متهاون به مضيَّع . وأمر فُرُط أي مجاوَز فيه الحدّ . وفَرَط في الأمر يَفْرُط فَرْطًا أي قصَّر فيه وضيَّعه حتى فات . (لسان العرب ، ج٧/٣٦٦) وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ أي أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع . ابن كثير (٣/١١٠) .

(٢) قال ابن كثير : ﴿ نَسُوا اللَّهَ ﴾ (التوبة:٦٧) أي نسوا ذكر الله ﴿ فَنَسِيَهُمْ ﴾ أي عاملهم معاملة من نسيهم. وقال : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ (الأعراف:٥١) أي يعاملهم معاملة من نسيهم ، لأنه تعالى لا يشذ عن علمه شيء ، ولا ينساه. كما قال تعالى : ﴿ فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ (طه:٥٢) وإنما قال تعالى : هذا من باب المقابلة كقوله : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ و ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه:١٢٦) وقال تعالى : ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ (الجاثية:٣٤) وقال العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ قال : نسيهم الله من الخير ، ولم ينسهم من الشر. (٢/٤٨٤).

٢- الغفلة عن آيات الله :

ثانيا : غفلوا عن آيات الله في الكون ، وفي التاريخ ، وهي تنطق بالعبرة لمن يعقل ويعي ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَـٰتِنَا لَغَـٰفِلُونَ ﴾ (يونس:٩٢) ، ينظرون آيات الله من حولهم ؛ عن أيمانهم وعن شمائلهم ، ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ومن أمامهم ومن خلفهم ؛ ولكنهم لا يعتبرون بها ، ليس لهم عين ترى ، ليس لهم قلب يفقه ، هؤلاء غفلوا عن آيات الله ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (يوسف:١٠٥)، ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف:١٣٦) . هذه هي الغفلة عن آيات الله عز وجل .

٣- الغفلة عن المصير :

ثالثا : غفلوا عن مصيرهم ، الغفلة عن المصير الذي ينتظر كل إنسان ، الله تعالى يقول عن قوم من الناس : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ (الروم:٧)، يعلمون كثيراً من ظواهر الحياة الدنيا ؛ من قوانينها ومن أحوالها ، ولكنهم أجهل الناس بالآخرة ، أغفل الناس عن الآخرة ، والآخرة هي القضية المصيرية الأولى لكل إنسان ، مهما عشت في هذه الدنيا ، مهما عمرت ؛ فنهايتك الآخرة ، يقول أبو العتاهية :

نُح على نفسك يا مسكين إن كنت تنوح
لتموتن وإن عُمِّرت ما عُمِّر نوح

ونوح عمّر طويلاً . أطول الأنبياء عمراً ، ولعله أطول البشر عمراً ، بعثه الله على رأس الأربعين ، وعاش في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم أخذهم الطوفان وهم ظالمون ، ثم عاش بعد الطوفان ما شاء الله ، لا نعلم كم عاش؟ المهم أنه عاش أكثر من ألف عام ، وجاءه ملك الموت ليتوفاه ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (السجدة:١١) جاء

ليقبض روحه ، تقول الحكايات : إن ملك الموت سأله : يا أطول رسل الله عمرا ! كيف وجدت الدنيا قال : وجدتها كدار لها بابان ، دخلت من أحدهما ، وخرجت من الآخر .

هكذا الحياة ، وفي الحديث« عش ما شئت فإنك ميت»[1] .

ما دامت النهاية هي الموت ؛ فيستوي الأمران ، طال عمرك أم قصر ، يقول الشاعر :

وإذا كـــان آخـــر العمـــر موتـــاً فســـــواء قصـــــيره والطويـــــل

السؤال المهم : ماذا فعلت في هذا العمر؟ هل استفدت منه؟ هل عمرته بالخير؟ هل ملأته بالتقوى؟ أم هو عامر بالمعاصي والغفلات ، وضياع الواجبات ، وانتهاك المحرمات؟ «رب عمر قصرت آماده واتسعت أمداده»[2] ، قد تعيش عمراً قصيراً ولكن الله يبارك فيه ، فإذا سنواته القصيرة كأنها آماد طويلة . المهم البركة . هذه هي الغفلة عن الآخرة ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (الروم:٧) .

الغفلة سم قاتل وداء عضال فابحث عن الدواء :

احذر من هذه الغفلة ، إنها السم القاتل ، إنها الداء العضال ، لا بد أن تتداوى من هذه الغفلة ، وأن تخرج منها . ولهذا أسباب ، يمكن أن تمارسها ، وأن

---

(١) جزء من حديث سهل بن سعد قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من أحببت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزي به ، ثم قال : يا محمد : شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس» رواه الحاكم في المستدرك (٣٦٠/٤) وصححه ، ووافقه الذهبي . والبيهقي في الشعب (٣٤٩/٧) ، ورواه الطبراني في الأوسط (١١٩/٥) عن علي ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وفيه زافر بن سليمان وثقه أحمد وابن معين وأبو داود ، وتكلم فيه ابن عدي وابن حبان بما لا يضر (٥٢٢/٢) ، وجزم العراقي في «الرد على الصغاني» بحسنه كما في الفيض (١٠٣/١) ورواه ابن الجوزي في علله (٤٠٣/٢) وله شاهد من حديث جابر عند البيهقي (٣٤٨/٧) وحسنه الألباني في الصحيحة (٨٣١).

(٢) من كلام ابن عطاء الله السكندري في حكمه .

تبحث عن هذه الأسباب لتتداوى من داء الغفلة ، لتتنبه بعد غفلة ، لتصحو بعد سَكْرة ، لتستيقظ بعد نوم ، لا بد أن نبحث عن (المحرّكات) للحياة الساكنة ، عن (المذكرات) أو (المنبهات) التي تذكر الإنسان إذا نسي ، وتعينه إذا ذكر ، وتقويه إذا ضعف .

أدوية الغفلة :

١- ذكر الموت[١] : أول هذه المحرِّكات : ذكر الموت ، أن تذكر هذه الحقيقة الحاضرة الغائبة ، المذكورة المنسية ، الموت أصدق غائب ينتظر ، وهو بين أيدينا في كل وقت ، في كل حين نودع قريباً أو جاراً أو صديقاً ، نُوريه الثَّرى ونعود كأن لم نفعل شيئاً . «اذكروا هاذم اللذات»[٢] .

الموتُ هو الذي يقطع لذة الملتذين ، والذي يُفرّق بين الابن وأبيه ، وبين الأب وبنيه ، وبين الأخ وأخيه ، وبين الحبيب وأحبائه . اذكروا هذا الموت ، اذكر أنك مهما عشت في هذه الدنيا ، ومهما تقلبت بين جنباتها ، ومهما كسبت من أموال ، ومهما شيّدتَ من قصور ، ومهما تبوأتَ من مناصب ، ومهما قلتَ ، ومهما فعلتَ ، ستنتهي إلى الموت ، سيأتي يوم يقول الناس فيه : فلان مات . سيأتي يوم يقول الناس عنك : فلان مات .

الموت يأتي فجأة :

هل تذكر هذه الحقيقة؟ إنها تنتظر كل واحد منا ؛ فبعد أن كان يخبر عن الموت أصبح هو خبراً يُحكى :

حكم المنية في البرية جاري ... ما هذه الدنيا بدار قرار

---

(١) لنا خطبة بعنوان : (هاذم اللذات : الموت) خطب القرضاوي (ج ١/ ص٦٢).

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٥٨) والترمذي في أبواب الزهد (٢٣٠٧) عن أبي هريرة ، والنسائي في الكبرى في الجنائز (١٩٦٣) وله في المجتبى (١٨٢٤) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٣٤).

بينا يرى الإنسان فيها مخبرا حتى يرى خبراً من الأخبار

قضية الموت قضية هائلة . على الناس أن يتذكروها ، تذكر الموت ولا تنسه أبداً ، فإنه أمر لا بد منه . مشكلة الناس أنهم يستبعدون الموت ، والموت لا يستأذن أحداً حين يأتي ، لا يطلب ترخيصاً

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

إنك حين يصبح الصباح قد لا يأتي عليك المساء ، وحينما يأتي عليك المساء قد لا يرد عليك الصباح . إن الموت يأتي بغتة ، ألم تسمع بهؤلاء الذين يموتون بالسكتة القلبية؟ بالذبحة الصدرية؟ الإنسان يعيش قريبا منك بطوله وعرضه ؛ ثم يفجعك الخبر : أنه مات . كنت قريباً منه ، قد رأيته ، أو صافحته ، أو تكلمت معه ؛ ولكنه مات ، بالذبحة ، بالسكتة . لا تظن أن الذبحة أو السكتة بعيدة عليك .

ألم تسمع بهؤلاء الشباب الذين يموتون وهم في عمر الزهور ، بحوادث السيارات ، وهم أبناء السابعة عشرة والعشرين ، وما دون ذلك ، وما فوق ذلك؟ الحوادث في هذه الدنيا كثيرة ، كنت أعرف بعض الناس لا يحب أن يركب السيارات خشية أن يحدث له حادث بالسيارة ، ولكنه كان يمشي على الرصيف يوماً ، فجاءت سيارة ودهسته وصدمته ومات ، لم يستطع أن ينجو بالحذر ، لأنه لا يغني حذر من قدر .

أصاب بعض البادية طاعون فهرب منها أحد الشباب ، وذهب إلى بلد آخر ، وقال له أبوه : ابق معنا يجري عليك ما يجري علينا ، والسنة في الإسلام أن لا يهرب الإنسان من الطاعون[1] ، فقد يكون حاملاً له ويُعدي آخرين ، وفي الطريق نام تحت شجرة ، فجاءت حية فلدغته فمات ، وعرف أبوه ذلك فقال :

---

(١) إشارة إلى حديث أسامة بن زيد ، وفيه : قال : قال رسول الله ﷺ :« الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل ، أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٣) ومسلم في السلام (٢٢١٨) والترمذي في الجنائز (١٠٦٥) والنسائي في «السنن الكبرى» في الطب (٧٤٨٢).

راح يبغـــي نجـــوة مـــن هـــلاك فهلـــك

والمنايـــا راصـــدات للفـــتى حيـــث ســـلك

كـــل شـــيء قاتـــل حـــين تلقـــى أجلـــك

لا مَفرّ من الأجل إذا جاء ، اذكروا الموت ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (المنافقون:٩) ، من ألهاه ماله وولده عن ذكر الله ، وحق الله ، ولقاء الله ، وحساب الله ؛ فأولئك هم الخاسرون ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (المنافقون:١٠)، أنفق واعمل صالحاً قبل أن تأتي ساعة الموت، ساعة الاحتضار ؛ هنالك تتصاغر حياتك، ويتضاءل عمرك كله، وتتمنى لو أُمْهِلتَ يوماً أو بعض يوم ، أو ساعة أو لحظة ، لو أُمْهلتَ حتى تصلي ركعتين ، لو أُمْهلتَ حتى تتصدق بما تستطيع من مال ، لو أُمْهلتَ حتى تقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . لو أُمْهلتَ قليلاً ، ولكن هيهات ، يقول الله تعالى : ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون:١١) ، لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف:٣٤) ، وكلمة ساعة هنا ليست هي الساعة الفلكية ؛ ستون دقيقة ، والدقيقة ستون ثانية . لا . الساعة بالمعنى اللغوي : اللحظة . لا يستأخرون ساعة ، أي لا يستأخرون لحظة ، ولا يستقدمون لحظة . هو الأجل ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (نوح:٤).

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (الزمر:٣٠):

ذكر الموت ؛ « إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد » قيل : وما جلاؤها؟ قال :« ذكر الموت وتلاوة القرآن »[1] ، تذكر الموت . لم ينج من الموت أحد

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (٢/ ٣٥٢) عن ابن عمر ، وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٩٧) وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (٢١٦٨).

لا نبي مرسل ، ولا ملك مُتوّج ، كل أنبياء الله ورسله ماتوا ، وخاتمهم محمد ﷺ ؛ الذي قال الله له : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٤) ، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ (الزمر:٣٠،٣١).

مات محمد ﷺ ، وحينما سمع الصحابة هاج هائجهم ، وثار ثائرهم ، ما كانوا يتوقعون أن يموت رسول الله ﷺ وهو في سن الثالثة والستين ، وقال من قال[1] : من قال إن محمداً قد مات ضربت عنقه! وقام أبو بكر رضي الله عنه يخطب في الناس ، الرجل الأول في الأمة بعد رسول الله قال : يا أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (آل عمران:١٤٤)[2] .

الموت لم ينج منه الأنبياء ، ولا الأولياء ، ولا الصالحون ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (العنكبوت:٥٧)، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٥) ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (آل عمران:١٨٥) .

هذا هو الفائز حقيقة ، ليس الفائز من كان رصيده بالملايين أو بالمليارات . ليس الفائز من بنى الدور ، وشيَّد القصور . ليس الفائز من تبوأ المناصب ووصل إلى أعلى الدرجات في الدنيا . الفائز حقاً : من زحزح عن النار وأُدْخِلَ

---

(١) القائل هو الفاروق عمر رضي الله عنه ، والحديث رواه البخاري عن عائشة ، وقد سبق تخريجه .

(٢) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (٣٦٦٨) عن عائشة ، وابن ماجه في الجنائز (١٦٢٧). والنسائي في « المجتبى » في الجنائز (١٨٤١).

الجنة ، هذا هو الفوز الحقيقي ، ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ (آل عمران:١٨٥) .

﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ (الدخان:٢٩):

لم ينج من الموت نبي مرسل ، ولا ولي صالح . ولم ينج من الموت أيضاً مَلكٌ مُتَوّج ، كل الأباطرة والأكاسرة والقياصرة ، والملوك والأمراء والأثرياء ، وقارون وفرعون وهامان ؛ كل هؤلاء أهلكهم الموت ، لم ينج أحد من الموت سواء كان خيّراً أم شريراً . الموت يقضي على الجميع ، ثم الحساب يوم الحساب ، انظر إلى آثار هؤلاء ، ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ (الدخان:٢٥-٢٩) ، لم تبك عليهم السماء ولا أهلها ، ولا الأرض ولا أهلها ، استراح الناس من شرورهم وفجورهم ، وباءوا بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ارفع لنفسك بعد موتك ذكرها :

الذي يبكي عليه الناس هو الذي يكون خيره للناس ، هو الذي يذكر الناس منه قوله الطيب ، وعمله الصالح ، وخلقه الكريم ، وآثاره الحسنة في الأرض . يذكره الناس بذلك ، يستطيع الإنسان أن يعيش بعد موته سنين طويلة ، يستطيع أن يُعَمَّر بعد عمره أعماراً ؛ إذا ترك وراءه سيرة طيبة ، وذكراً حسناً ، رحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال :

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثوان

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثان

ارفع لنفسك ذكرها بعمل الصالحات ، واجتناب السيئات ، واستباق الخيرات .

الموت لم يترك مَلِكاً ، ولا أميراً ، ولا إمبراطوراً . حينما جاء مرض الموت إلى هارون الرشيد أعظم ملوك الدنيا في وقته ، حينما مرض وفحص الأطباء

بوله ، أعطاهم بوله ليفحصوه ضمن جملة أبوال ، حتى لا يعرفوا بول من هو ، فلما فحص الأطباء قالوا : صاحب هذا البول في أيامه الأخيرة ، فأنشد يقول :

إن الطبيب لـه علـم يُـدلّ بـه ما دام في أجل الإنسـان تـأخير
حتى إذا ما انتـهت أيـام مهلتـه حار الطبيـب وخانتـه العقـاقير

الطبيب لا يستطيع أن يؤجل موتك ، أو يؤخر أجلك ، إذا كان الداء من السماء بطل الدواء ، وعجز الأطباء! وكان الرشيد يعالج سكرات الموت وهو يقول : ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ (الحاقة:٢٨،٢٩) ، الملك العريض ؛ الذي كان أعظم ملك في الدنيا في ذلك الوقت انتهى ، لا مال ينفع ، ولا سلطان يشفع ، ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴾ .

وابنه الذي ورثه ؛ عبد الله المأمون ، الذي بلغت الدولة ما بلغت في عهده من العز والعلم ، والحضارة والسبق على أمم الأرض ؛ حينما جاءه الموت كان يقول : يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه ، يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه !(١)

هل يتذكر هذا ملوك الأرض؟ هل يتذكر هذا الرؤساء والأمراء؟ هل يتذكر هذا الأغنياء والكبراء؟ إن الموت آت لا ريب فيه .

ذكر الموت أيها الإخوة : هو القضية المهمة في علاج غفلة القلب ، لا بد أن نضع الموت نصب أعيننا ، أن نتذكر هذه الحقيقة الكبيرة التي يحاول الناس أن يغفلوا عنها ، لا بد أن ينسوها ، وهيهات أن تنسى ، هيهات أن تنسى ، وأنت تُشيع كل يوم ناساً ، وتقرأ في الصحف نعياً لفلان وفلان ، كيف تنسى هذا ، «اذكروا هاذم اللذات»(٢) ، اذكروا الموت ، اجلوا صدأ القلوب بجلاء

---

(١) هذه الكلمة (يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه) قالها أكثر من خليفة ، ومنهم الواثق والمأمون . .

(٢) سبق تخريجه .

الموت ، أسأل الله تبارك وتعالى أن يذكّرنا من نسياننا ، وأن ينفعنا إذا ذكرنا ، وأن يقوينا إذا ضعفنا ، وأن يبصرنا إذا عمينا ، وأن ينبهنا إذا غفلنا . إنه سميع قريب .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه ؛ إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* * *

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

وقفة بين عامين :

وقفة على مستوى الفرد :

في هذا اليوم نختم عاماً هجرياً ونستقبل في الغد عاماً هجرياً جديداً ، والسعيد من انتفع بمرور الأيام ، وحاول أن يحاسب نفسه ، كان بعض الصالحين وضع لنفسه جدول محاسبة ، كل يوم يحاسب نفسه ، هل أديت الصلوات الخمس في أوقاتها؟ كم صليت منها في جماعة؟ هل ذكرت الله تعالى؟ هل قرأت شيئاً من القرآن؟ هل وصلت رحماً؟ هل أعنت ضعيفاً؟ هل فعلت كذا؟ هل فعلت كذا؟

وفي الجانب الآخر : هل اغتبت إنساناً بغير حق؟ هل صدر منك نميمة؟ هل كذا؟ هل كذا؟ . . . . ويضع لنفسه علامة صح أو خطأ ، ويعطي نفسه درجة ؛ عشرة من عشرة ، أو ثمانية من عشرة ، أو خمسة من عشرة ، أو ثلاثة ، أو صفر . . . هو حكم على نفسه ، وهو أمين على نفسه ، ويرى نفسه هل ينجح بمقبول؟ أم لا ينجح أبداً؟ أم بدرجة جيد . . . وهكذا .

OBEIKAN.COM

حاسب نفسك كل يوم ، إذا لم تستطع ففي كل أسبوع ، إذا لم تستطع ففي كل شهر ، إذا لم تفعل ففي كل سنة . ليتك يا أخي المسلم تجلس هذه الليلة ، وأنت تودع سنة كاملة لتحاسب نفسك ؛ ماذا صنعت في هذه السنة من خير؟ ماذا تذكر من أعمال صالحة؟ ماذا سيُرصد لك في الميزان؟ ماذا سيُكتب في صحيفتك؟ واذكر في الجانب الآخر : ماذا قصّرت فيه من واجبات؟ ماذا ضيعت من حقوق؟ ماذا جنى لسانك؟ وماذا جنت يدك؟ وماذا جنت بطنك؟ ماذا دخل فيها من حرام؟ وكم مشيت من خطوات في سبيل المعصية؟ وماذا ... وماذا؟ حساب ختامي .

هذا الحساب الختامي في هذه السنة مطلوب منك أيها المسلم ، إذا كنت تريد أن تسير في طريق التزكية للنفس فابدأ بهذا ، ابدأ بالحساب ، حاسب نفسك قبل أن تحاسب ، واسأل نفسك قبل أن يصير السؤال إلى غيرك ، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الحجر:٩٢،٩٣) ، وزن أعمالك زنها قبل أن توزن عليك في يوم قال الله تعالى فيه : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ (الأنبياء:٤٧) .

وقفة على مستوى الأمة :

هذا على مستوى الفرد ، وعلى مستوى الأمة : ماذا نقول؟ هذه السنة مضت على الأمة وقد حدث ما حدث ، لا تزال قضايانا الكبرى معلّقة ، لا تزال أم القضايا كما هي ، قضية أرض النبوات ، أرض الإسراء والمعراج ، أرض الأقصى الذي بارك الله حوله ، لا تزال تدور في حلقة مفرغة ، دماء تسفك ، وحرمات تنتهك ، ومنازل تدمر ، وأشجار تقلع ، ومزارع تجرف و و . . إلخ ، ونحن نتفرج كأن الأمر لا يعنينا ، كأنها ليست قضية العرب والمسلمين الأولى .

كانوا يقولون الصراع العربي الإسرائيلي ؛ ما عاد صراعاً عربياً إسرائيلياً ، أصبح صراعاً فلسطينياً إسرائيلياً ، وإسرائيل تملك ما تملك . وماذا يملك الفلسطينيون؟ لا يملكون إلا أنفسهم ، إلا أرواحهم يضعونها على أيديهم ، ويفجرون أنفسهم ، مضحين بأرواحهم في سبيل دينهم ووطنهم ، ومقدساتهم وقضيتهم ، ومن أجل هذا يعتبرونهم إرهابيين ، مجرمين ، يجب أن يقاتَلوا ، ويجب أن يقاوَموا ، لأنهم يدافعون دفاعاً مشروعاً عن حقهم ، لا يملكون طائرات ولا دبابات ، ولا صواريخ ولا ترسانات ؛ كما تملك إسرائيل . وإسرائيل ليست وحدها ، فهي مسنودة مؤيدة بالمال الأمريكي ، والسلاح الأمريكي ، والتأييد الأمريكي ، والفيتو الأمريكي . مؤيدة بكل هذا ؛ فلماذا لا تفعل ما تفعل؟ لماذا لا تصول ولا تجول ، ولا تعربد ولا تسفك ، ولا تذبح ولا تقتل؟ وعندها إشارة خضراء تفعل ما تشاء .

الأمة لا تزال كما هي ، وللأسف لا توجد لأمتنا الكبرى ـ أمة الألف مليون والثلاثمائة مليون ، أمة المليار والثلث ـ ليس لها قيادة سياسية ، وليس لها قيادة دينية ، وليس لها قيادة فكرية ، فهذه حال أمتنا ، لا نملك إلا أن ندعو لهذه الأمة ، أن يجمعها الله من شتات ، وأن يوقظها من سبات ، وأن يحييها من موات .

اغتيال الرئيس الشيشاني السابق[1] :

وقد حدث أيها الإخوة في هذا البلد الكريم ، في يوم الجمعة الماضية : حدث حدثٌ غريب حقاً ، لعلنا ونحن كنا على هذا المنبر حدث هذا الحدث ، أن قتل رجل نزل ضيفاً على قطر ، ومما يذكر لقطر بالخير : أنها تستضيف كثيراً من المضطهدين الذين يطردون من بلادهم ، أو الذين لا يستطيعون أن

---

(١) كان ذلك في يوم الجمعة الموافق ١٣/٢/٢٠٠٤م.

يعودوا إليها ، فتفتح لهم ذراعها ، وتفتح لهم صدرها ، وكان هذا الرجل الرئيس الشيشاني السابق سليم خان يندربايف كان من هؤلاء الذين استضافتهم قطر ، وقد عرفته وزارني مرات ومرات ، وعرفته رجلاً صالحاً ، رجلاً مجاهداً ، وهو أديب وكاتب وشاعر ، ليس فقط من أهل السياسة ؛ وإنما من أهل الأدب وأهل الفكر ، ولكن للأسف حدث ما حدث في الأسبوع الماضي ، من تفجير سيارته ، بعد أن خرج من الجمعة مصلياً طاهراً ، فحدث له هذا الحادث الغريب ، الذي لم يحدث مثله في قطر . ونسأل الله أن يوفق المحققين من رجال الأمن في قطر أن يعثروا على قاتليه[1] ، ويأخذوا جزاءهم ، وينكشف موقفهم أمام الناس جميعاً ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر له ويرحمه ، ويتقبله في الصالحين من عباده ، اللهم آمين .

* * *

(١) كشفت التحقيقات عن قاتلي الرئيس الشيشاني وقبض عليهم ؛ وكانت المخابرات الروسية وراء هذا الحدث الإجرامي البشع.

OBEIKAN.COM